خطاب الولي (دام ظله)

عند لقائه طلاب وأساتذة الحوزة العلمية

قم المقدسة - ١٣ ذي القعدة ١٤٣١هـ

الإعداد والإخراج الالكتروني

www.almaaref.org

المركز الإسلامي للتبليغ

خطاب الولي دام ظله عند لقائه طلاب وأساتذة الحوزة العلمية

قم المقدسة ـ ١٣ ذو القعدة ـ ١٤٣١ هـ

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب:	خطاب الولي دام ظله عند لقائه طلاب وأساتذة الحوزة العلمية قم المقدسة ـ ١٣ ذو القعدة ـ ١٤٣١ هـ
إعداد:	المركز الإسلامي للتبليغ
تاريخ الطبع:	١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

خطاب الولي دام ظله
عند لقائه طلاب وأساتذة الحوزة العلمية

قم المقدسة ـ ١٣ ذو القعدة ـ ١٤٣١ هـ

www. almenbar.org
info@almenbar.org

مقدمة:

لقد قـام سماحة الإمـام القائد آيـة الله العظمى السيـد علـي الحسينـي الخامنئي (حفظـه المولى) بزيـارة تاريخية لمدينة العلـم والعلماء قم المقدسة وألقـى فيها جملـة من الخطابـات القيّمـة المملوءة بالتوصيـات والتوجيهـات ذات القيمـة البعيـدة المدى.

وقـد اختار المركز الإسلامي للتبليغ منها ما يتعلق بالحـوزة ودورهـا وعلاقتها بالثورة وآفـاق تطويرها وفيمـا يلـي نصـ كلمته عنـد لقائه طـلاب وأساتذة حوزة قم العلمية والتي تضمنت المحاور التالية:

١ ـ موقعية قم العلمية.
٢ ـ اللامبالاة لا تعطي إلا احتراماً صورياً.
٣ ـ العداوة تنتج الفرص.
٤ ـ حكومة القيم والشرع لا حكومة المشيخة.
٥ ـ وجوه حاجة النظام الإسلامي للحوزة وعلمائها.
٦ ـ استقلالية الحوزة ومساعدة الحكومة.
٧ ـ قضية التحول في الحوزة (التطوير في الحوزات):
أ ـ التطوير العلمي.
ب ـ التحول الصحيح والتحول الخاطئ (علمياً).
٨ ـ التحول الايجابي والنظام المسلكي.
٩ ـ رسالة إلى الثوريين الشباب.
١٠ ـ لا بدّ من إدارة وقيادة قوية ومنسجمة للتحول (التطوير).
١١ ـ ضرورة تدريس الفلسفة والتفسير إلى جانب الفقه.
١٢ ـ الطلبة الأخوات ظاهرة عظيمة ومباركة.

كلمة الامام الخامنئي دام ظله عند لقائه طلاب وفضلاء وأساتذة الحوزة العلمية في مدينة قم المقدّسة

١٣ ذو القعدة ١٤٣١

موقعية قم العلمية

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمّد وعلى آله الطيبين الأطهرين المنتجبين الهداة المهديّين المعصومين سيّما بقية الله في الأرضين.

السّلام عليك يا سيدتي ومولاتي يا فاطمة المعصومة يا بنت موسى بن جعفر عليكِ وعلى آبائك الطيّبين الطاهرين المعصومين أفضل الصلاة والسلام.

إن اقتران ملتقانا هذا بكل عظمته التي أضفاها الحضور المميّز للأساتذة والفضلاء والطلاب الأعزّاء لحوزة قم العلمية مع الذكرى السعيدة لمولد الإمام الرضا عليه آلاف التحية والثناء، وكذلك مولد أخته المعظّمة السيدة فاطمة المعصومة سلام الله عليها، يذكّرنا بالحركة العظيمة والمباركة لهذين الأخوين والهجرة الفائضة بالمعاني لهذين المعظّمين؛ وهي بلا شك حركةٌ بنّاءة ومؤثّرة في تاريخ شعب إيران وتاريخ التشيّع.

ولا شك أن دور السيدة المعصومة عليها السلام ، في جَعْلِ قم على ما هي عليه وإضفاء العظمة على هذه المدينة الدينية التأريخية العريقة، هو دورٌ لا كلام فيه. فهذه السيّدة المعظّمة، والفتاة التي ترعرعت في حضن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، بحركتها بين الأتباع والأصحاب والمحبّين للأئمة عليهم السلام ومسيرها بين المدُن المختلفة ونثر بذور المعرفة والولاية بين الناس على امتداد هذا المسير وبعد وصولها إلى هذه المنطقة ونزولها في قم، تمكنت من جعل هذه المدينة تسطع كمركزٍ أساسي لمعارف أهل البيت عليهم السلام في ذلك العصر الظلماني والحالك لحكومة المتجبّرين، وتتحوّل إلى قاعدةٍ تشعّ منها أنوار العلم وأنوار معارف أهل البيت عليهم السلام على أطراف العالم الإسلامي بشرقه وغربه.

واليوم إنّ مركز المعرفة للعالم الإسلامي هو مدينة قم. فقد أضحت قم كما كانت في ذلك العصر قلباً فعّالاً ونشطاً يمكنها أن تضخّ المعرفة والبصيرة واليقظة في كل أرجاء جسد الأمّة الإسلامية. في ذلك الزمان، أصدرت قم أوّل الكتب الفقهية وكتب معارف الشيعة وأتباع أهل البيت عليهم السلام . وبواسطة حوزة قم، أُلّفت الكتب الأساسية التي يعتمد عليها الفقهاء والعلماء والمحدّثون، مثل كتاب «نوادر الحكمة» لمحمد بن أحمد بن يحيى، وكتاب «بصائر الدرجات» للصفّار، وكتاب «الشرائع» لعلي بن بابويه القمّي، وكتاب «المحاسن» للبرقي، وكتب أحمد بن محمد بن عيسى، وعشرات بل ومئات الكتب الأخرى؛ كل هذه الكتب أعدت وأُنتجت في هذا المركز المعرفيّ. **هنا، تربّت وترعرعت شخصيات كانت عندما تسافر إلى أقطار العالم الإسلامي تحوّل محافلها إلى محافل تفيض بالعلم والمعرفة**. كان الشيخ الصدوق رضوان الله عليه من الجيل الثالث والرابع

لهـذه الحركة العظيمة، عندما سافر إلى بغـداد ـ التي كانت مركز الشيعة ومركز الحديث ـ جلس تحت منبره العلماء والفضلاء ونهلوا منه. لهذا كما تلاحظون إن الشيخ الصدوق هو أستاذ المفيد وشيخه رضوان الله عليهما. لهـذا أضحـت قم مركزاً، وهي كذلـك اليوم. وعلى مـرّ الأزمنة هاجر إلى قـم عشرات الآلاف من طـلاب وعاشقي معارف أهل البيت عليهم السلام؛ تعلّموا وتلقّوا المعرفة وواجهوا الكثير من المشاكل بإرادةٍ صلبة وهم يتطلّعون إلى الأهداف العليـا والمعنويّة، وتقدّموا على الطريق غيـر عابئين بالصعاب. لعلّـه لا نجـد إلا القليل من المدُن فـي العالم بل **ربّما لا نجـد مدينةً فيها هذا العدد الكبير من الذين يسـعون لتحصيل المعارف الدينية والعرفان والمعنويات والسلوك الجماعي** من النساء والرجال المشغولين في السعي والعمـل والمجاهـدة المعنويـة والعلميـة والثقافية في آناء الليـل وأطراف النهار. هذه هي حوزة قم اليوم، مع ما تتمتّع به من موقعية عالمية ممتازة؛ وهـذه أيضاً من سوابق هذه المدينة التي تأسسـت فيها أول حوزةٍ أساسية ومهمّة للتشيّع، نهِل من نبع فيضها أعاظم العلماء كالشيخ الكليني، والشيخ الصدوق وآخـرون حيث كانت آثارهم حافظةً لمعـارف أهل البيت عليهم السلام على امتداد القرون.

اللامبالاة لا تعطي إلا احتراماً صورياً

إن الحوزات العلمية ـ وخاصة حوزة قم العلمية ـ لم تكن يوماً من الأيام وعبر تاريخها كما هي اليوم من حيث كونها محطاً لأنظار العالم؛ ولم تكن يومـاً مؤثّرةً في السياسات العالمية ولعّله في مصير العالم والدّول كما هي اليـوم. لم يكن لحوزة قم في يوم من الأيام من الأصدقاء والأعداء كما هو

اليــوم. أنتم الملازمون لحوزة قم العلمية لديكم من الأصدقاء ما يفوق كلّ مــا حصل في هذا التاريخ؛ وكذلك على مستوى الأعداء عدداً وخطورةً. إنّ حــوزة قم العلمية في يومنا هذا ـ والتي هي في قمّة الحوزات العلمية ـ تحوز على مثل هذه الموقعية الحسّاسة.

ويوجــد هنا مغالطةٌ ينبغي أن أشير إليهــا. فمن الممكن أن يقول البعض أنّــه لو لــم تتدخّل الحوزات العلمية فــي القضايا العالميــة والسياسية وفي التحدّيــات، لما كان لها مثل هذا العــدد من الأعداء، ولكانت أكثر احتراماً مما هي عليه. هذه مغالطة، لم يكن هناك أي جماعةٍ أو مؤسسةٍ أو مجموعةٍ ذات قيمــة تنال احتــرام الرأي العام بسبب انزوائهــا واعتزالها وإحباطها ولــن يكون أبــداً. **إن الاحترام الذي تحصــل عليه المجامع والمؤسســات اللامبالية التي تتنزّه عن أن تلتصــق بالتحدّيات هو احترامٌ صوري وهو في الواقع والعمق عدم احترام**؛ مثل احترام الأشياء الذي لا يُعدّ احتراماً حقيقيــاً، كاحترام الصور والتماثيل والتصاوير، فإنّه ليس احتراماً واقعياً. وأحياناً يكون هذا الاحترام مهانةً يتلازم مع التحقير الخفي من ذاك الذي يتظاهــر بالاحترام. فالموجود الذي يكــون حيّاً نشطاً مؤثّراً هو الذي يبعث الاحتــرام؛ سواء في قلوب الأصدقاء أو حتى في قلــوب الأعداء. يؤدّي مثل هذا الأمر إلى عداوات لكنّهم يعظّمونه ويحترمونه.

إنّ انعــزال حــوزة قم العلمية وأية حوزةٍ علميــة أخرى، ينتهي بها إلى الانقراض والزوال. فعــدم التدخّل في الأحداث الاجتماعيــة والسياسية والتحدّيات يؤدّي بالتدريج إلى التهميش والنسيان والعزلة. لهذا فإنّ علماء الشيعــة بالعموم، وبغض النظر عن استثنــاءات جزئية وفردية، كانوا دوماً في صلب الأحداث. ولأجل هذا تمتّع علماء الشيعة بمثل هذا النفوذ والتوغّل

فـي المجتمع بما لم يتحقّق لأية مجموعةٍ علمائيـة أخرى في العالم ـ سواءٌ الإسلامي أو غير الإسلامي.

ثـمّ أنّه **لـو أراد العلماء أن يتحرّكـوا على الهامش، وينـزووا فإن الدين سيتعرّض للضرر. العلماء جند الدين، وخدّامه، وليس لهم حيثية بدون الدين**. لو أنّ العلماء اتّخذوا منحى العزلة والابتعاد عن القضايا الأساسية ـ والتـي تمثّل الثورة الإسلامية العظيمة نموذجهـا البارز ـ ووقفوا يتفرّجون غيـر مكترثين فإنّ الدين ولا شـك سيتعرّض للضرر؛ وإنّ هدف العلماء هو حفظ الدين.

العداوات تنتج الفرص

إذا كان التواجد في الساحة موجباً لاستثارة العداوات، فإن هذه العداوات إذا جمعناهـا كلّهـا فإنّـه ستكون حصيلتهـا مجتمعةً أساسـاً للخير. فتلك العـداوات تستثيـر الهمم والنخوات وتخلق الفُرص لـكلّ موجودٍ حي. أينما بـرزت الخصومات والأحقاد تجاه مجموعة علمائيـة وتجاه الدين، يتحقّق فـي مقابلها حركةٌ بنّاءة مـن جانب أهل اليقظة والإطّـلاع. قلت ذات مرّة أمـام جمـعٍ إن تأليـف كتاب من قبل كاتـب متعصّبٍ ضدّ الشيعـة أدّى إلى إنجـاز العديد من الكتب التي مثّلت مصادر شيعية كبيرة. لو لم يكن هناك تحرّكات للتيّارات اليساريـة والماركسية وحزب تودة في عقد العشرينات، وأوائـل عقـد الثلاثينات(قبل حوالـي ستين سنة) لما تـمّ إنتاج كتابٍ حي وبـاق مثل «أصـول الفلسفة ومذهب الواقعية». لهذا فـإنّ هذه العداوات لم تنتهِ إلـى ضررنا. أينما انبعثت الخصومة يُظهـر الموجود اليقظ والمطّلع ـ أي الحـوزة العلميـة ـ ردّة فعـلٍ من نفسه ويوجد فرصـةً. **العداوات تخلق**

الفُرص؛ وذلك عندما نكون يقظين وأحياء وغير غافلين.

في عهد رضاخان حيث برزت تلك الحركة المعادية للعلماء أدّى ذلك إلى أن يعطي مرجع تقليدٍ كالمرحوم السيد «أبو الحسن الأصفهاني» رضوان الله تعالى عليه، إجازةً لصرف الحقوق الشرعية في إنتاج المنشورات الدينية والمجلّات الدينية؛ حيث كان ذلك ممّا لا سابقة له، وكان في ذلك الزمان شيءٌ عجيب. ولهذا بدأت تصدر النشرات الدينية بأموال الحقوق وسهم الإمام، وكذلك بدأت تُقام المجامع الدينية بالاعتماد على سهم الإمام. إنّ شخصيةً مثل شخصية السيّد الأصفهاني رضوان الله تعالى عليه، وخلافاً لما تصوّر البعض ويتصوّرون، كانت تهتمّ بالقضايا الثقافية المتعلقة ببلدنا والمجتمعات الشيعية ودولة الشيعة، وتجيز صرف سهم الإمام في مثل هذا العمل؛ هذه هي الفُرص. هكذا توجد العداوات مثل هذه الفُرص الكبيرة.

إن حيادية العلماء تجاه قضايا التحدّيات الأساسية لا يؤدّي إلى خمود العداء تجاه العلماء والدين، أو توقّفها، «ومن نام لم يُنم عنه» (نهج البلاغة). لو أنّ علماء الشيعة لم يشعروا بالمسؤولية تجاه العداوات التي تتوجّه إليهم ولم ينزلوا إلى الميدان، ولم يظهروا إمكاناتهم، ولم ينجزوا العمل الكبير المُلقى على عاتقهم، ما كان العدو ليتوقف عن عداوته؛ بل على العكس إنهم كلّما شعروا بضعفنا تقدّموا، وأينما أحسّوا باضطرابنا يزيدون من نشاطهم ويتقدّمون. **لقد أدرك الغربيّون الإمكانات الهائلة لفكر الشيعة في مواجهة الظلم والاستكبار العالمي** وذلك منذ مدّةٍ طويلة نسبياً؛ من قضايا العراق وقضية التبغ؛ لهذا فهم ليسوا ممن يسكت وسيستمرّون في اعتدائهم واقتحامهم. **إنّ سكوت ولا مبالاة العلماء والروحانيين**

والحـوزات العلمية لا يمكن أن يوقف عـداوة الأعداء بأيّ وجهٍ. لهذا فإنّ تحـرّك الحوزات العلمية وعدم بقائها علـى الحياد قبال الأحداث العالمية والتحدّيات الداخلية والدولية يُعدّ أمراً لازماً لا يمكن إغفاله.

حكومة القيم والشرع لا حكومة المشيخة

وبعـد إنتصار الثورة الإسلامية طرح أولئـك الذين كانوا يسيئون للعلماء والثـورة في الأذهان مفهوميـن خاطئين ومنحرفين. وقد تمّ الردّ على هذه الأفـكار قولاً وعمـلاً. «شنشنة نعرفها من أخزم». يجـب الالتفات واليقظة دوماً. المفهومـان الخاطئان اللذان يُعدّان تهمتين طرحهما العدوّ تكتيكياً، **أحدهمـا** الحكومـة الآخونديـة. فقد قالـوا انّ الحكومة في إيـران أضحت حكومة آخوندية (مشيخية) وقد أمسكت حكومة العلماء بزمام الأمور. كتبوا هذا، وقالـوه وروّجوا له وكرّروه. **والآخر** طرح موضـوع الآخوند السلطوي، وتقسيـم الآخوند إلى سلطوي وغير سلطـوي. كان هدفهم من طرح هذين المفهوميـن الانحرافيين والخاطئين، **أولاً**، حرمـان النظام الإسلامي من الدعامـة الفكرية والنظرية والاستدلالية والعلميـة العظيمة لعلماء الدين. **وثانيـاً**، تهميش العالـم المسؤول والثـوري والمتواجد فـي الساحة، الذي يواجـه العداوات والإساءة لسمعته؛ هذا بزعمهم. يقصدون أن هناك نوعاً من العلماء، هم علماء السلطة، وهو أمرٌ سيّءٌ وسلبي ومضاد للقيم، ونوعاً غير تابع للسلطة، وهو أمرٌ إيجابي ونزيه.

إن علاقـة العلماء مع النظام الإسلامـي علاقةٌ واضحة. وعلاقة العلماء والحوزات العلمية مع النظام الإسلامي هي علاقة دعم ونصيحة. وهذا ما سأوضحه. الدعم إلى جانب النصحية، الدفاع إلى جانب الإصلاح.

وذانـك المفهومـان الخاطئان، هما فـي الحقيقة مفهومـان إنحرافيان وعدائيـان؛ وذلـك، لأن القول بـأن الحكومـة آخوندية ونسبـة الجمهورية الإسلاميـة إلى هذا المفهوم هو قـولٌ كاذب. إن الجمهورية الإسلامية هي حكومـة القيم وحكومـة الإسلام، وحكومة الشرع، وحكومـة الفقه، وليست حكومـة المشايـخ. فالمشيخـة ليسـت كافية لأجـل أن يكتسـب الشخص سلطـةً حكومية. إن الجمهورية الإسلامية تختلـف بالماهية مع الحكومات المشيخيـة التـي نعرفها في العالـم، تلك التي كانت موجـودة في الماضي أو هـي موجـودة اليوم فـي بعض مناطـق العالـم. إن حكومـة الجمهورية الإسلامية هـي حكومة القيم الدينية، من الممكـن أن يحوز أحد المشايخ علـى خصائص قيمية تجعله أفضل من كثيرٍ من المشايخ الآخرين؛ ويكون مقدّماً عليهم. **لكن المشـيخة لا توجب سـلب الأهلية والكفاءة من أحد. فليسـت المشـيخة لوحدها أهلية وكفاءة كما أنّها ليسـت سـبباً لسـلبها.** إن الحكومـة هـي حكومة الدين وليسـت حكومة صنفٍ خاصـ أو مجموعةٍ خاصـة. فتقسيم المشايخ إلى مشايخ السلطة وغيرهم، واعتبار القيم بناءً علـى هذا الأساس هو خطأٌ فاحش. إن السعي من أجل السلطة بل من أجل أي شـيءٍ آخـر، إذا كان للدنيا فهو سيئ، وإذا كان لهـوى النفس فهو سيّئٌ ولا يختصّ بالحكـم. **إنّ تحرّكنا نحـو أيّ هدفٍ إذا كان القصـد فيه هوى النفس والمصـالح الشخصـية، فهو مخالفٌ للقيم، وهو مصـداق الدخول فـي الدنيا الذي جاء: «الفقهاء أمناء الرسـل ما لم يدخلـوا في الدنيا»**. وإذا كان الهـدف هـو الدنيا فهـو مردود، وليـس الأمر مختصّـاً بالسلطة والحكومـة. **أمّـا إذا كان منطلِقاً مـن الأهداف المعنويـة والإلهية فهو من أفضل مصـاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أسمى مصاديق**

الجهاد؛ إنه تقبّلٌ للمسؤوليات الثقيلة أو دفاعٌ عن المسؤولين المؤهّلين. إذا أُطلقت كلمة شيـخ السلطة والحكومة على من يدافع عن النظام الإسلامي أو يدعـم المسؤولين أداءً لدينه، ومسؤوليته الشرعية وفي سبيل اللّه، فهذا من القيم، وعدم وجود مثل هذه الحالة مخالف للقيم.

لهـذا، فـإن كلا المفهوميـن، مفهـوم الحكومـة الآخونديـة والمشيخية ومفهـوم شيخ السلطة وعالم الحكومة غير صحيح. إنّ طرحهما بعد الثورة وبعد تأسيس النظام الإسلامي هو مغالطةٌ؛ فهذه المفاهيم ليس لها علاقة بثقافة هذه الثورة.

وجوه حاجة النظام الإسلامي للحوزة وعلمائها

ولكـن في المقابل هناك حقيقتان ومفهومان آخران يُعدّان من المفاهيم القيميـة ومن مناشـىء القيم. **المفهوم الأول، إن نظـام الحكم يحتاج من الناحيـة النظريـة والعلميـة إلى علمـاء الدين والحـوزات العملية وهو يقوى بمسـاعيهم العلمية**. فالنظام يعتمـد على الحوزات العلمية والعلماء والفضلاء وأصحاب الرأي والخبرة على المستوى الديني. **والمفهوم الآخر هو أنّ الحوزة والعلماء ليسوا غير مبالين فيما يتعلّق بالنظام الديني. لا** يوجـد أيّ عالم ديني وأيّ خادم للإسلام يمكن أن يكون غير مبالٍ بالنسبة للنظام الـذي تحقّق على أساس الإسلام، وهو يتحرّك بالدوافع الإسلامية ويعمـل على هـذا الأساس؛ لا يمكن أن يعدّ نفسه غريبـاً عنه. فهذه حقيقةٌ أخرى.

تلـك الحقيقـة الأولـى التي ذكرنـا فيهـا **أن النظـام يقـوى بالحوزة العلميـة، لأنّ التنظير السياسـي والتنظير فـي جميع الأبعاد الإدارية**

لشعبٍ أو لدولةٍ في النظام الإسلامي يكون على عاتق علماء الدين. إن من يتمكّن من بيان أحكام الإسلام ونظريّته في باب الاقتصاد وفي باب الإدارة وفي باب الحرب والسلم وفي باب القضايا التربوية وفي غيرها هو المتخصص الديني والعارف بالدين. **وإذا لم تجرِ تعبئة مكان هذا التنظير ولم يقم علماء الدين بهذا العمل فإن النظريات الغربية والنظريات غير الدينية والنظريات المادية ستملأ هذا الفراغ.** لا يمكن لأيّ نظام أو مجتمعٍ أن يدير في الفراغ؛ عندها سيأتي نظامٌ إداريٌّ آخر ونظامٌ اقتصاديٌّ آخر، ونظامٌ سياسيٌّ آخر، تمّ وضعه وإيجاده من قبل الأذهان المادية ويحلّ محلّه؛ فهذا الأمر يحدث أينما تحقق هذا الفراغ.

إن ما ذكرته أنا العبد بشأن العلوم الإنسانية في الجامعات وحذرت من خطر هذه العلوم المسمّة بذاتها ـ سواءٌ بالنسبة للجامعات أو للمسؤولين ـ فلأجل هذا الأمر. **إن هذه العلوم الإنسانية التي تروج اليوم، فيها من المضامين ما يتعارض ويخالف بماهيّته الحركة الإسلامية والنظام الإسلامي وهو يعتمد على رؤية كونية مختلفة**، ولديه مقولات وأهدافٌ أخرى. عندما راجت هذه الأمور تمّ إعداد المدراء على أساسها، والذين هم أنفسهم من يتصدّى لشؤون الجامعات ويقفون على رأس اقتصاد الدولة وعلى رأس قضاياها السياسية والداخلية والخارجية والأمنية وغيرها وغيرها. **إن الحوزات العلمية وعلماء الدين هم الدعامات وهم مكلّفون باستخراج النظريات الإسلامية في هذا المجال من قلب المتون الإلهية، وتظهيرها وجعلها في متناول الأيدي في عملية التخطيط وفتح المجالات المختلفة.** فالنظام الإسلامي يعتمد على علماء الدين وعلى

العلمـاء أصحاب الـرأي والنظريـات الإسلامية؛ لهذا فـإن النظام مكلّفٌ بدعم الحوزات العلمية لأنها معتمده.

وبالإضافـة إلـى حاجة النظـام الإسلامي في إدارة الشعـب والدولة إلى الحـوزات، هناك نقطةٌ أخرى ترتبـط بالشبهات التي تُطرح بوجه النظام، حيث يتمّ حقن الشبهات الدينية والشبهات السياسية والشبهات الاعتقادية والمعرفيـة في قلـب المجتمع. وخصوصاً بين الشبـاب. والتي لا هدف لها إلا عـدول الناس من فكرٍ إلى فكر والقضاء على الدعائم البشرية للنظام، وخدش مبانيه الأساسية في الأذهان، ومعاداته. لهذا فإنّ القضاء على هذه الشبهـات ومواجهتهـا وإزالة مثل هذه الغبار عن ذهنيـة المجتمع. وهو ما يتحقق بواسطة علماء الدين. يُعدّ دعامةً أخرى للنظام الإسلامي. لهذا فإنّ النظام الإسلامي يعتمد على علماء الدين والمنظّرين والمحقّقين والعلماء في الحوزات العلمية من جهاتٍ عدّة. ومن هذه الجهة فإن الحوزات العلمية لا يمكنها أن تبقى لامبالية. **إن الحوزة العلمية وخصوصاً حوزة قم هي أمّ هذا النظام. هي التي أوجدت وولّدت هذه الثورة وهذه الحركة العظيمة فكيف يمكن لأمٍّ أن تهمل وليدها وتكون غير مبالية بشأنه حينما يكون من الضروري أن تدافع عنه!** ذلك غير ممكن. لهذا فإن العلاقة المتبادلة بيـن الحـوزات العلمية ونظـام الجمهوريـة الإسلامية هي علاقـة الدعم. فالنظام يدعم الحوزات، والحوزات تدعم النظام فيتعاونان ويتآزران.

إستقلالية الحوزة ومساعدة الحكومة الإسلامية

هنـا قضية أُخـرى سأطرحها وبعدها سأعرض لعـدّة قضايا أخرى ذات أهميّـة فيما يتعلّق بالحوزة إن شاء الله. هذه القضية هي قضية استقلالية

الحوزات. فهـل أن دعم النظام الإسلامي للحوزات العلمية يمكن أن يوجد خلـلاً أو يوجّـه ضربةً لهذه الاستقلالية أم لا؟ وهـل أنّ هذا العمل جائزٌ أم لا؟ فهـذا بحثٌ مهم. فالحوزات العلمية كانت طـوال التاريخ مستقلّةً، ليس فقـط في عهود الحكومات المعارضة للتشيّـع، بل حتى في عهد الحكومات الشيعية، فعندمـا كان الصفويون ممسكين بزمام الأمـور وقدِم إلى إيران علماءٌ كبـار كالمحقق الكركي ووالد الشيخ البهائـي وغيرهم من الأعاظم وشغلـوا مناصب دينية عدّة، لم يصبح هؤلاء العلماء وتلامذتهم ومن تربّى علـى أيديهم خاضعين للسياسـات الصفوية أو تحوّلوا إلـى أداة بأيديهم. نعم، كانوا يقدّمون العون ويتعاونون ويُمدحون ويُجلّون؛ ولكنّهم لم يصبحوا فـي قبضتهم، وقـد كان الأمر على هذا المنوال أيضـاً في مقطع من العهد القاجاري. فكاشف الغطـاء رضوان الله عليه، ذلك العالم الكبير جاء إلى إيـران وألّـف كتاب «كشف الغطـاء»، وفي هذا الكتاب ـ سـواءٌ في المقدّمة أو فـي بحث الجهـاد، أو بمناسبة حروب روسيا وإيـران، كان يظهر الكثير مـن الإجلال لفتحعلي شاه؛ ولكن كاشـف الغطاء لم يكن شخصاً يمكن أن يصبح بيد فتحعلي شاه وأمثاله؛ أمثال هؤلاء كانوا مستقلّين. وكان الميرزا القمّي في منزله في قم محترماً ومجلّلاً من قبل شاه زمانه؛ ولكنّه لم ينزل تحـت إرادته. وكانـوا يصرّون عليه أن يفتي بما يريـدون؛ ولكنّ الميرزا لم يقبـل ولم يتنـازل. للميرزا القمـي رسالة بعنوان الرسالـة العباسية، يبين فيهـا آراءه الفقهية في باب الجهاد. وهذه الرسالة، قد طُبعت ونُشرت قبل عـدّة سنوات لأول مرّة. وقـد طُلب منه أن يعطي وكالةً (على سبيل المثال) أو نيابـة ليتمكّنوا من الجهاد من طرفه ـ وبظنّـي أن هذا الموضوع قد ذُكر في كتاب جامع الشتات ـ ولكنه لم يخضع أو يقبل. هكذا كان علماء الشيعة

على الدوام، كانوا مستقلّين دوماً، لم يتحوّلوا إلى أداةٍ في قبضة السلطات؛ واليـوم الأمر كذلك، وبعدها ينبغي أن يكـون كذلك، وسيكون هكذا بتوفيق الله.

ولكـن يجب أن تكونوا متنبهيـن ها هنا لكي لا تنشـأ مغالطةٌ أخرى؛ فلا ينبغـي أن تُتلقّـى استقلاليـة الحـوزات بمعنى عـدم دعم النظـام للحوزة والحوزة للنظـام؛ فالبعض يريدون هذا الأمر. **يريدون أن يقطعوا علاقة الحـوزة بالنظـام تحـت عنـوان الاسـتقلالية وباسـمها، وهـذا لا يصـحّ، فالتبعية غير الدعم، وهي غير التعاون.** إن النظام مديون للحوزة ويجب أن يدعم الحـوزات. بالطبع، يجب أن تدار معيشة الطلاب على يد الناس، علـى طريقة السنّـة المتعارفة والمليئـة بالمعاني والأسـرار؛ فليأتِ الناس ويقدّموا ما عليهم من حقوق شرعية؛ هذه هي عقيدتي.

كلّمـا دقّق المرء في أعماق هـذه العادة والسنّة القديمـة التي لعلّها كانت رائجة قبل حوالـي ١٥٠ سنة، تزداد بنظره أهميتهـا ومعانيها وأسرارها. **إن سرّ الرابطة المحكمة للناس مع الحوزات هو شعورهم بالقرابة والإنتماء.** النـاس لا يتوقعـون الكثير مـن العالِم لكنّهـم يعدّون أنفسهـم مسؤولين عن الدعم المالي للحوزات والعلماء، وهو الصحيح.

لكنّ قضايا الحوزات لا تنحصر بقضية المعيشة. ففي الحوزات إنفاقات لا يمكـن تأمينهـا إلا بدعـم بيت مـال المسلميـن ومساعـدة الحكومات. وعلـى الحكومات أن تصرف هـذه الميزانيـات دون أن تتدخّل. الكثير من المدارس المهمّة في المدن المختلفة بناها الأمراء والسلاطين. في مشهد بُنيـت ثلاث مدارس محاذية ـ مدرسة نـوّاب والباقرية والحاج حسن ـ وكل واحدةٍ بُنيت في زمـان أحد سلاطين الصفوية وبأمره أو بأمر أمرائه؛ فلا

إشـكال فـي ذلك. فالمدرسـة الباقرية التـي كانت محلّ تدريـس المحقّق السبـزواري. الملّا محمد باقر السبـزواري صاحب الذخيرة والكفاية. قد بُنيـت بواسطتهـم ولا إشكال في ذلـك. يجب أن تُصـرف الميزانيات دون تدخّـل. فالحوزة تتقبّل أنواع الدعم من جانب النظـام بعزّةٍ ومنعة. **إن كل هـذا الدعـم الذي يقدّمـه النظام في يومنـا هذا للحـوزات، ويجب عليه وينبغـي أن يزداد، كله يندرج تحت عنوان المسـؤولية والتكليف. وليس مجرّد دعم مادّي**. اليوم، بحمد الله، أهم المنابر الوطنية وأكثرها انتشاراً يوضع تحت تصرّف فضلاء الحوزة العلمية والمراجع المعظّمين. فهذه من أشكال الدعم التي يقدّمها النظام. فالنظام الإسلامي يجب عليه أن يقدّم كل هـذا الدعم انطلاقاً من تلك الرابطة المذكورة. لهذا، لا ينبغي الخلط بين قضية التدخل والاستقلالية وتلك الوقائع الموجودة في هذا المجال.

الحقيقـة هي **أنّ هذين التيّارين العظيمين- تيّار النظام الإسـلامي وفي قلبه تيّار الحوزات العلمية- هما تيّاران متّصـلان ومترابطان ولهما نفس المصـير**؛ وعلـى الجميع أن يعرفوا هذا. فاليوم، مصيـر العلماء والإسلام فـي هذه البقعة من الأرض مرتبطٌ ومتشابكٌ مع مصير النظام الإسلامي. **فأيةُ ضـربةٍ يتعرّض لها النظام الإسـلامي سـتكون حتماً خسارة للعلماء وأهـل الديـن وعلمـاء الدين أكثر من سـائر أبنـاء الشـعب**. وبالطبع فإن النظـام حـيٌّ وشامخٌ وقويّ. وإني بثقـة تامة أقول أن النظـام سيتغلّب على جميع التحدّيات التي تواجهه وسينتصر.

قضية التحوّل في الحوزات (التطوير العلمي)

القضيـة الأخـرى المهمّـة المطروحة والتـي ينبغي تناولهـا بوضوح هي

قضيّة التحوّل في الحوزات، وهي قضيةٌ تُطرح منذ مدّة في الحوزة العلمية المباركة لمدينة قم. فماذا يعني هذا التحوّل؟ أيّ شيءٍ تريد الحوزة القيام بـه تحت عنوان التحوّل؟ إذا كان التحوّل بمعنـى تغيير الخطوط الأساسية للحوزات ـ كتغيير منهج الاجتهاد ـ فهو قطعاً انحراف. إنّه تحوّلٌ لكنّه تحولٌ نحو السقوط. إنّ المنهج الاجتهادي الرائج اليوم في الحوزات العلمية الذي يعتمده علماء الدين هو من أقوى مناهج الاجتهاد وأكثرها منطقيةً؛ اجتهادٌ يعتمـد علـى اليقين والعلـم ويستند إلى الوحـي؛ أي أنه يبتعـد عن الظن؛ واستنباطنـا هو استنباط علمي ويقيني. وهـذه الظنون الخاصّة الموجودة يجب أن تكون حجّيتها كلّها يقينية وقطعية. حتى أن اعتبار الأصول العملية التـي نُعملها في الفقه يجب أن يكون اعتبـاراً جزمياً وقطعياً. فما لم نصل إلـى الجزم بالدليـل القطعي باعتبار هذا الأصل العملـي ـ الاستصحاب أو البـراءة أو الاشتغـال، كلٌّ فـي محلّـه ـ لا يمكننا أن نُعمِله. لهـذا فإنّ جميع وسائـل الاستنباط عندنا في الفقه تنتهي بالواسطـة أو بغير الواسطة إلى القطع واليقين.

إن الاجتهـاد عند الشيعة لا يعنـي الاعتماد على الظنـون غير المعتبرة؛ فيكـون كما ذكر قدماؤنا اجتهـاداً بالرأي يعتمد على الظنون غير المعتبرة كالقياس والاستحسان وأمثالهما، وقد ألفوا حوله كتباً، ككتاب «الرد على أصحـاب الاجتهاد في الأحكام»، لإسماعيل بن أبي سهل النوبختي، والسيد المرتضـى فـي «الذريعة»، والشيخ فـي «عدّة الأصـول» وغيرهم وغيرهم؛ رفضوا هذا **الإجتهاد المبنـي على الظنون غير المعتبرة. هذا الاجتهاد مرفوضٌ. واليوم نرفض هذا النوع من الاجتهادات لأيٍّ كان وتحت أي إسمٍ. وإن لم يكن هذا الأمر يرضي الدنيا، لا يهم، فإنّ هذا الكلام الفقهي ليس**

لـه زبائن في العالـم، وحتى لو لم يذكروا هذا صراحةً لكنّهم في أعماقهم يريـدون جرّنا إلى هذا الاستنباط الخاطئ وهو مرفوض. وللأسف يُشاهد فـي بعض الموارد هنا وهنـاك، أنه **لأجل مراعـاة عُرف العالـم المتمدّن .بالبعـد المـادي بشـكلٍ أساسـي. يتـم العبـث بعمليـة اسـتنباط الأحـكام الشـرعية!** بل أسوأ مـن ذلك أحياناً ومن أجل جلب قلـوب أصحاب القِوى المادية. وليس فقط العُرف الشائع للعالم المادّي، بل عُرف القوى المادية والإستكبارية. يقدّمون الفتاوى: **فالمسـاعي السلمية النووية للجمهورية الإسلاميـة تصبـح ممنوعةً لأنّها تبعث سوء ظن القوى العظمى!** حسناً، لقد أخطأوا ويسيئون الظن.

لـو تمّ إعمال الاجتهاد وفق المنهج الصحيح المبني على الكتاب والسنّة، وبتلـك المنهجية المنطقيـة المعقولة السليمة المدقّقـة الناضجة فهو أمرٌ ممتـاز. إن الاجتهـادات، ولو استتبعت نتائـج مختلفة، تـؤدّي إلى الارتقاء والتقـدّم. مجتهدونـا وفقهاؤنا عبر تاريـخ فقهنا، قدّمـوا آراءً متباينة في المسائـل المختلفـة. فالتلميذ ينقض آراء أستاذه، ويأتـي تلميذه لينقض عليـه، فلا إشكال فـي ذلك، فهذا ما يـؤدي إلى الإرتقـاء والتطور؛ ويجب تقوية هـذا الإجتهاد في الحوزة، والإجتهاد لا يختص بالفقه، ففي العلوم العقلية وفـي الفلسفة والكلام، اجتهاد أصحاب هـذه الفنون ضروريٌّ، ولو لم يكن هذا الإجتهاد لأصبحنا مستنقعاً راكداً.

لا ينبغي أن تغيب الحوزة في هذا الزمان عن الساحات المختلفة للفلسفة والفقـه والكلام فـي العالم. فكلّ هـذه الأسئلة المطروحة فـي العالم وفي القضايـا المختلفـة تنتظـر رد الحوزة، فـلا ينبغي لها أن تغيـب أو تنفعل؛ فهما مضـران. **إنّ التفكير المتجدّد ضـروريٌّ، والإجابـة على الحاجات**

المستحدثة ضروريّةٌ وهي تنهمر كالسيل في أرجاء العالم، ويجب أن توفروا أجوبتها. يجب أن تكون إجاباتكم ناظرةً إلى هذا الاحتياج وناظرةٌ إلى الأجوبة التي تقدّمها المذاهب والفرق المختلفة أيضاً. فلو غفلتم عن أجوبتهم، لا يمكن لجوابكم أن يفعل فعله. يجب أن تستنبطوا الأجوبة القوية والمنطقية والمقنعة، يجب أن تُعرض الأجوبة على العالم. وعلى الدوام يجب أن تُضخّ صادرات **قم وهي كما قلنا: القلب المعرفي للعالم الإسلامي**. واليوم لحسن الحظ فإنّ وسائل الاتصال السريع تحت تصرّف الجميع. وأنتم قادرون على القيام بشيء ها هنا، فيسمعكم ويستفيد منكم من يعيش في أقاصي العالم في نفس الساعة.

إن الحاجة موجودةٌ على صعيد القضايا المختلفة؛ سواءٌ بالنسبة للنظام الإسلامي أو على مستوى البلد أو العالم. إن تبيين الرؤية المعرفية للإسلام والفكر الاقتصادي والسياسي للإسلام، والمفاهيم الفقهية والحقوقية، التي تشكّل أركان ذلك الفكر الاقتصادي والسياسي، ونظام التعليم والتربية والمفاهيم الأخلاقية والمعنوية وغيرها وغيرها، يجب أن تُعدّ وتُهيّأ بصورةٍ دقيقةٍ وعلميةٍ ومقنعةٍ وناظرةٍ إلى الأفكار الرائجة في العالم؛ هذا هو عمل الحوزات. وبالاجتهاد يصبح هذا الأمر عملياً. وإذا لم نقم بهذا العمل نكون قد ساعدنا بأيدينا على حذف الدين من ساحة الحياة البشرية، نكون قد ساهمنا بأنفسنا في عزل العلماء. هذا هو معنى التحوّل. وهذه الحركة الاجتهادية المتجددة أساس التحوّل.

التحوّل الصحيح والتحوّل الخاطئ

وأعرض هنا إلى ما يُعدّ تطويراً وإلى ما لا يُعدّ كذلك، في المجالات

الأخـرى. أو بتعبيرٍ أفضل مـا يُعدّ تحوّلاً صحيحاً وتحـوّلاً خاطئاَ. فكلامي دائمـاً كان وسيبقى. في السابـق ذكرته عبر اللقاءات المختلفة مع فضلاء الحـوزة. **إنّ التحـوّل والتغيّـر أمـرٌ حتمي وسيحصـل. وفـي يومنا هذا لا يوجـد حصـنٌ مانعٌ يحيط بأية مجموعةٍ صـنفية أو داخليـة أو غيرها؛ غايـة الأمـر أن هذا التحـوّل والتغييـر إمّا أن نديـره ونوجّهـه أو لا، بل نهمله**. إذا تركناه خسرنا. يجب على كبار الحوزة ومراجع التقليد والعلماء والمفكّرين والفضـلاء أن يشمّروا عن ساعد الهمّة ويخطّطوا لهذا التحوّل ويقوموا بتوجيهه وإدارته. لهذا، **فإنّ المعنى الأساسي للتحوّل هو: الحركة التجديدية على صعيد المضمون**.

من الممكن أن يُراد من التحوّل أو أن يُفهم له معنىً خاطئ، والذي يجب اجتنابه بشكل حتمي. «**لا يعني التحوّل الإعراض عن المناهج التقليدية شديـدة الفعاليـة للحـوزة فـي التعليـم والتعلّـم وتبديلهـا بالأساليـب الرائجـة في الجامعات اليـوم**»؛ فمثل هذا التحوّل والتغيير خطأٌ في خطأ، هو تراجعٌ.

فـي يومنا هذا بـدأت مناهجنا التقليديـة القديمة المختلفـة تُعرف في كل العالـم. البعض يروّجون لهذه الأساليب من خـلال التقليد أو الابتكار؛ فهل نأتـي بالمناهج الجامعية المعتمدة عندنـا والمستنسخة عن المناهج الغربيـة القديمة إلى الحـوزة فنحكّمها؟ كلا، هذا لا نعدّه تحوّلاً، ولو حدث مثل هذا التغيير فإنّنا حتماً نعتبره رجعيّةً وتخلّفاً؛ نحن لا نقبل هذا. **لدينا فـي الحـوزة العلمية مناهج ممتازة رائجة يُعمل بها منذ القديم. أسـلوب الإختيار الحرّ للأسـتاذ من قبل الطالب**. عندما يأتي الطالب إلى الحوزة يفتّش عـن الأستـاذ الذي يرغب بـه ويذهب إلـى درسه. **وأسـاس حركة**

الطالب هي التفكير والتدقيق والدراسة لا الحفظ. ومحورية الحفظ هي هذا الشيء الذي نعدّه اليوم بلاء التربية والتعليم الموجود عندنا، ونحن منذ مدّة نواجهه ونحاربه؛ ولم يتحقّق بعد النتيجة المطلوبة التي ينبغي. **في الحوزة، فإنّ الأساس الذي نعتمد عليه هو التفكير**. والطالب عندما يدرس فإنه قبلها يجري مطالعات مسبقة ويهيئ ذهنه لكي يسمع من أستاذه كلاماً جديداً وبعد الدرس يتباحث مع زميله فمرّةً يدرّسه ومرّة يدرس عنده. لهذا يقر في الذهن.. وفي بعض الحوزات، كحوزة النجف، كانت كتابة تقرير الدرس أمراً رائجاً. وفي قم قليلاً ما يُعمل بهذا أو نادراً. حيث يقوم أحد الطلبة الفضلاء بعد درس الأستاذ بشرحه للطلاب المحتاجين مرّةً أخرى. ولهذا ترون كم لهذا العمل من تأثيرٍ في تعميق العلم والمعلومات عند طلّاب العلم. لا ينبغي تضييع هذه الأساليب، فهذا خسارةٌ.

واحترام الأستاذ قضيّةٌ أخرى. فإحدى السنن الرائجة في الحوزات العلمية هي تواضع التلميذ للأستاذ واحترامه. يُكتب في «آداب المتعلمين» ويُذكر فيه مسؤوليات المتعلم تجاه المعلّم وحقوق المعلّم، وفي المقابل ما للمتعلّم من حقوقٍ على المعلّم. فلا يكفي أن يأتي الأستاذ ويقول كلمته ثمّ يمشي. كلا، بل يستمع إلى كلام التلميذ ويصغي. فهذه أمورٌ كان يُعمل بها منذ القدم. ومنذ زماننا كان هناك بعض الأعاظم وهم اليوم موجودون أيضاً، فالتلميذ يلازم الأستاذ بعد الدرس إلى بيته، يباحثه ويتحدّث معه ويسأله، وتكون الجلسة جلسة علميّة، فالجلسة تكون جلسة تحقيقٍ وسؤالٍ وجواب. هذه من السنن الجيّدة لحوزاتنا. الآخرون يريدون أن يتعلّموها منا، فهل نقوم نحن باستبدالها بأساليب وسنن الآخرين المنسوخة والبالية؟!

لهذا ينبغي أن تبقى هذه السنن وتزداد قوّةً. التحوّل لا يعني تغييرها.

«**من الأشياء الضرورية في التحوّل الإيجابي هي أن نطبّق أنفسنا وسعينا ونشاطنا العلمي على الإحتياجات. فالناس يريدون منّا أن نجيب عن الأشياء التي يحتاجون إليها وعلينا نحن تأمينها**». وهناك أشياءٌ ليست مورد حاجة الناس، وهي من الإضافات والهدر في السعي، فلا ينبغي أن نشغل أنفسنا بها. إنّ هذه قضايا أساسية جداً ومهمّة.

نحن نريد من الجامعات أن تطبّق نشاطها على حاجات المجتمع. فكلما التقينا بالجامعات والأساتذة والجامعيين نكرّرالأمرعلى مسامعهم، ونقول لهم طبّقوا فروعكم العلمية على حاجات المجتمع، وانظروا ما هي الأشياء المطلوبة، ومثل هذا الأمر يصدق على الحوزات بطريقٍ أولى.

التحوّل الإيجابي والنظام المسلكي

القضية اللاحقة ترتبط بالنظام المسلكي والأخلاقي للحوزات؛ حيث ينبغي أن يكون هذا التحول ـ فيما لو تحقّق ـ ناظراً إلى هذه الجهة أيضاً. ويوجد هنا عدّة عناوين بهذا الخصوص دوّنتها؛ **منها تكريم الأساتذة**. يجب أن يتحرّك نظامنا المسلكي والأخلاقي في الحوزات بهذا الاتجاه، **تكريم الأستاذ وتكريم العناصر الفاضلة وخصوصاً تكريم مراجع التقليد**. فليس كل إنسان بمقدوره أن يصل بسهولة إلى مستوى مراجع التقليد المعظّمين، فهذا ما يتطلّب مؤهلات كثيرة. وفي الغالب **فإن المراجع يُعدّون القمم العلمية للحوزات العلمية. لهذا يجب الحفاظ على احترام المراجع وتكريمهم.**

القضية الأخرى في النظام المسلكي والأخلاقي في الحوزات هي الإستفاضة من المعنويات والتهذيب فهذا مهمٌّ جداً. إنّ الشباب اليوم يحتاجون أكثر من أي وقتٍ مضى إلى قضية التهذيب. فأولئك الذين يدرسون ويعملون في فروع علم السلوك العام، يؤيّدون هذا. في يومنا هذا أضحى الوضع في كل العالم حيث النظام المادي وضغط الماديات الذي يجعل الشباب يشعرون بالضيق والكآبة. في مثل هذا الوضع، يكون منقذ الشباب التوجّه إلى المعنويات والأخلاق. إن السبب وراء نمو وانتشار أنواع العرفان الكاذب واستقطابها هو هذا؛ أي الاحتياج. إن شبابنا في الحوزات العلمية ـ سواء الذكور أو الإناث ـ يحتاجون إلى التهذيب. لدينا قِممٌ في التهذيب. في قم كان المرحوم الحاج الميرزا جواد آقاي الملكي والمرحوم العلّامة الطباطبائي، والمرحوم الآقا بهجت والمرحوم الآقا بهاء الديني، رضوان الله تعالى عليهم، **قِمم التهذيب في الحوزة. فسلوكهم ومعرفة حياتهم وكلماتهم تُعدّ بذاتها من أكثر الأمور شفاءً وباعثة على اطمئنان الإنسان ومانحة للسكينة والبصيرة ونورانية القلب**. وكان في النجف أعاظم؛ سلسلة تلامذة المرحوم الآخوند الملّا حسينقلي إلى المرحوم الآقا القاضي وغيرهم وغيرهم، فهؤلاء عظماء، بمعزل عن مشاربهم الفكرية والعرفانية. والقضية هنا ليست قضية نظرية. البعض كان لهم مشارب مختلفة. كان المرحوم السيّد مرتضى الكشميري رضوان الله تعالى عليه، من أساتذة المرحوم الحاج الميرزا علي الآقاي قاضي؛ ولكن مشربهما كان متفاوتاً بالكامل. فهو كان يمنع بشدّة من الحصول على كتابٍ بينما الآخر كان يعشقه؛ فلا مشكلة. هؤلاء الأعاظم الذين كانوا في مشهد، كانوا رجالاً عرفناهم بالتقوى والطهارة والنزاهة، المرحوم الحاج الميرزا جواد آقاي

طهراني، والمرحوم الحاج الشيخ مجتبى وأمثالهما كانوا كذلك. **والأساس هو شفاء القلب الصدئ بلسانٍ معنوي وكلامٍ نابعٍ من القلب يزيله**، لهذا فنحن لا دخل لنا هنا في أنواع العرفان النظري.

وقضية أخرى في مجال النظام المسلكي والأخلاقي للحوزة هي قضية التوجهات والمشاعر الثورية في الحوزة. أعزائي! إنّ لأجواء الثورة في البلد أعداء معاندين وحقودين. يعارضون حاكمية الجو الثوري في البلد؛ ويريدون القضاء عليه. لقد رأيتم كيف أن الشهادة في بعض الأزمنة أضحت مورد تشكيك ومساءلة وكذلك الجهاد والشهيد وآراء الإمام والأنبياء! ليست القضية أنّ فلاناً أو فلاناً مخالفون لهذه المفاهيم، بل إن هذه المخالفة والمعارضة كما يرى العدو يجب أن تُطرح في المجتمع لخلق بيئةٍ وتحطيم الجو الثوري. وفي الحوزة العلمية يجب على الجميع الالتفات إلى هذه القضية؛ في صلب المجتمع على هذا المنوال وكذلك طبعاً في الحوزات العلمية. يعلمون أنكم لستم أفراداً معزولين بل لكم جمهوركم ومحبوكم، لهذا أنتم تؤثرون في محيطكم. **يريدون شقّ هذا الجو الثوري وعزل العالِم الثوري. فاستحقار التعبئة والشهداء والشهادة والتشكيك بالجهاد المديد لهذا الشعب فيما لو حصل لا سمح الله في زوايا الحوزة لكان كارثةً. على كبار الحوزة أن يراقبوا دائماً وينتبهوا ويمنعوا من حصولها.**

رسالة إلى الثوريين الشباب

ونقطة أخرى أوجّهها إلى الشباب الحماسيين والثوريين في الحوزة حيث إنّ الحوزة بمعظمها تشتمل على أمثال هؤلاء. أعزّائي إن المستقبل لكم وأنتم أمل ومستقبل البلد. يجب عليكم أن تكونوا متنبهين جداً.

صحيحٌ أن الطلبة الشباب الثوريين هم أهل العمل والنشاط وليسوا أهل التسويف والتأجيل، لكن ينبغي أن نلتفت لئلا تستجلب الحركة الثورية تُهمة التطرّف. فعلينا اجتناب الإفراط والتفريط.. وعلى الشباب الثوريين أن يفهموا أنه مثلما يكون الانزواء والسكوت واللامبالاة مضرّاً، كذلك يكون الإفراط. فانتبهوا من أن يتحوّل الأمر إلى إفراطٍ. لو أنّ ما ذُكر في بعض التقارير، بأن هناك بعض مقدّسات الحوزة وبعض كبارها ومراجعها قد تعرضوا للإهانة، كان صحيحاً، فاعلموا أن هذا انحرافٌ حتمي وخطأ. فالثورية لا تقتضي مثل هذا. **إن الثوريّ ينبغي أن يكون بصيراً، ومدركاً لتعقيدات ظروف زمانه. وليست القضية بهذه البساطة حيث نرفض شيئاً ونثبت آخر، ونقبل ثالثاً، لا يصح الأمر كذلك، بل ينبغي أن تكونوا مدققين وتحفظوا الحماس الثوري، وتقاربوا المشكلات.** لا ينبغي أن تنفعلوا بتهم الآخرين وطعناتهم، مثلما أنكم لا ينبغي أن تكونوا بسطاء؛ فالتفتوا ولا تيأسوا وابقوا في الساحة، لكن دقّقوا وراقبوا سلوك بعض الذين هم مورد اعتراضكم فلا يغضبكم الأمر أو يخرجكم عن طوركم. إن السلوك المنطقي والعقلائي أمرٌ ضروري. وبالطبع **أوصي الجميع هنا بأن لا يتّهموا القوى الثورية بالتطرّف**، لأن البعض يحبّون هذا الأمر، ويريدون اتّهام العناصر الثورية، والشاب الثوري، والفاضل الثوري، والمدرّس الثوري، في أي مستوى من المستويات، بالتطرّف. كلا، إنّ هذا تحريفٌ يقوم به العدو، وهو واضحٌ. فلا يكون الأمر من هذا الطرف أو ذاك الطرف.

لا بدَّ من إدارة وقيادة قوية ومنسجمة للتحوّل

حسناً، إن هذه القضايا ترتبط بالتحوّل. وهنا أوجّه إليكم سؤالاً: هل أن هذا التحوّل المتشعّب، الشمولي، ذا الأبعاد المختلفة، ممكنٌ من دون إدارةٍ منسجمةٍ؟ إن هذا هو الأمر الذي طرحناه قبل عدّة سنين في نفس هذه الحوزة العلمية أمام من أصبح اليوم منهم من المراجع المعظّمين، وكانوا حينها في جامعة المدرّسين، وبعضهم ارتحل من هذه الدنيا ـ رحمة الله ورضوانه عليهم ـ وقبلوه. **إن إدارة وتدبير الحوزة من قبل مجموعةٍ متمركزة مؤيّدة من قبل المراجع والأكابر وممن لهم خبرة في القضايا الحوزوية يُعدّ أمراً لازماً لا يمكن اجتنابه؛ وبدون هذا لا يصحّ الأمر. إن هذا العمل المتشعّب المهم بأبعاده الشمولية لا يمكن أن يتحقّق بدون إدارةٍ قوية.**

ضرورة تدريس الفلسفة والتفسير

أذكر نقطتين أخريين لأنهي كلمتي. فلقاؤنا طال كثيراً وإنّني أعتذر منكم أيها الإخوة والأخوات حيث إنّه بالرغم من وجود هذا المكان الوسيع جلستم بصعوبة، كحال الإخوة والأخوات في الخارج جالسين في صحن المسجد الأعظم وحجراته.

إحدى القضايا هي قضية درس الفلسفة وفروعها. انتبهوا، إن أهمية الفقه وعظمته لا ينبغي أن تجعلنا غافلين عن أهمية دراسة الفلسفة وفروعها، فلكلٍّ أعباؤه. فلفرع الفقه مسؤوليات وللفلسفة مسؤوليات كبرى تقع على العاتق؛ كانت راية الفلسفة الإسلامية بيد الحوزات العلمية وينبغي أن تكون كذلك وتبقى. لو أنّكم تركتم هذه الراية على الأرض فإنّ الآخرين الذين قد لا يكونون مؤهلين سيحملونها؛ فيقع تدريس الفلسفة وعلم الفلسفة بأيدي

أولئك الذين قد لا يتمتّعون بالمؤهلات اللازمة لذلك. اليوم، لو أنّ نظامنا ومجتمعنا حُرم من الفلسفة فإنّه سيصبح مقابل هذه الشبهات المختلفة وتلك الفلسفات الواردة عارياً وبلا دفاع. ذاك الشيء الذي يمكن أن يقدّم لكم الأجوبة ليس في الفقه في الأغلب، بل في العلوم العقلية، في الفلسفة والكلام، فهي ضرورية، وفي الحوزة تُعدّ من الفروع المهمة. والفرع المهم الآخر هو التفسير والأنس بالقرآن والمعارف القرآنية، لا ينبغي أن نبقى محرومين من التفسير. إن درس التفسير مهم وكذلك درس الفلسفة فهي فروعٌ ذات قيمة عظيمة.

الطلبة الأخوات ظاهرة عظيمة ومباركة

النقطة الأخيرة **فيما يتعلّق بظاهرة الطلبة الأخوات، وهي ظاهرةٌ عظيمةٌ جداً ومباركة**، آلاف العالمات والمحقّقات والفقيهات والفيلسوفات يتمّ إعدادهن في الحوزات العلمية للنساء، فأيّة حركةٍ عظميةٍ ستكون هذه. انظروا إلى نظرة العالَم المادي إلى ظاهرة المرأة وجنس النساء كم هي نظرة سيئة واستحقارية ومنحرفة. فتواجد العالمات الإسلاميات في الميادين المختلفة ـ كحضور العالمات الصالحات والواعيات الجامعيات اللواتي هنّ من أهل الدين والشرع ـ له آثارٌ عظيمةٌ جداً في العالم وهو يُعدّ سُمعةً حسنةً للثورة. فعلى النساء أن يدرسن جيّداً. وبالطبع لا ينحصر الهدف النهائي لدراستهنّ في صيرورتهنّ مجتهدات أو فلاسفة ـ من الممكن أن يرغب بعضهن ويكون لديهنّ الاستعداد والوقت والبعض الآخر لسّن كذلك ـ بل يمكن أن يكون الأمر في مجال المعارف الإسلامية والقرآنية التي يمكن أن تكون مفيدةً لهنّ ولغيرهنّ.

«دعاء»

اللهم اجعل كل ما قلناه وسمعناه لك وفي سبيلك.

اللهم أفض على هذه الكلمات والمسموعات وهذه الحركة العظيمة في الحوزة من لدنك بالبركة.

اللهم اجعل عملنا وقولنا وحركتنا تحت ظلّ توجّه ورضا وليّك، فارضِ عنا قلبه المقدّس. واشمل برحمتك وبركتك روح إمامنا العظيم المطهّر والشهداء الأعزاء الذين هم فاتحو هذا الطريق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته